الفلسفة الطبيعية عند الفارابي

أ.م.د. كيورك مرزينا كرومي
م.د.سامي محمود إبراهيم
قسم الفلسفة
كلية الآداب
جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١١/٩/٢٥ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١١/١٢/١٥

ملخص البحث:

انتهى بحثنا إلى الوقوف على أهم جوانب الفلسفة الطبيعية عند الفارابي . كما انتهى إلى بيان طبيعة هذه الفلسفة ومدى أهميتها . ويدور هذا البحث حول رؤية الفارابي لمسالة الوجود والمبدأ الأول . لذلك ينطلق هذا البحث من عدة تساؤلات أهمها:

- ما حقيقة الوجود عند الفارابي ؟
- هل تعمق الفارابي في دراسة أسباب الوجود ؟
- هل نجح الفارابي في تقديم فلسفة طبيعية توضح غموض أرسطو؟
- هل عبرت آراؤه في مسالة الواجب والممكن عن نزعته العقلية ؟
- هل كانت معالجة الفارابي للطبيعة تهدف إلى إعلاء موقف العقل ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمنا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث وخاتمة:

المقدمة : وتتضمن دوافع البحث ومبرراته ، وأسباب اختيار الموضوع.

المبحث الأول: ويدرس هذا المبحث الطبيعة عند الفارابي كما يتناول مشكلة الوجود ، محاولا تقديم رؤية كاملة لآراء الفارابي في بيان حقيقة الوجود الطبيعي ومناقشته لأهم الموضوعات المندرجة فيه .

المبحث الثاني: يعالج هذا المبحث مشكلة العقل والنفس في النظام الفيض لدى الفارابي ، ويناقش هذه المسالة من خلال شقها الطبيعي. ويتضمن هذا المبحث أيضا قراءة لجدلية الفلسفة الطبيعية والنفس عند الفارابي وبيان أهميتها.

المبحث الثالث: ويتناول السببية عند الفارابي، مبينا نظرية الفارابي في تفسير الأسباب والكشف عن ترابطها ثم دورها في حل المشكلات. كما يتناول فكرة الواجب والممكن ودورها في بحث المسائل الطبيعية.

الخاتمة : وقد خصصت لإبراز أهم نتائج البحث. ثم أعقبنا الخاتمة بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في كتابة هذا البحث.

وقد اعتمدنا منهجين في هذا البحث هما:

- المنهج التحليلي: لتحليل النصوص بغية اكتشاف مكوناتها.
- المنهج التاريخي: لتتبع أصل الفلسفة الطبيعية وأسباب نشأتها عند الفارابي، ومدى إثرائها للفكر الفلسفي العربي الإسلامي ، وقد رأينا ان إتباع هذا المنهج من الأهمية والضرورة ، إذ عن طريقه اتضحت أمامنا مختلف الآراء والتصورات والتفسيرات لمعالجة مشكلة الوجود في جانبه الطبيعي. ومن الله التوفيق.

Natural philosophy of Al-Farabi

Asst. Prof D. Curk M. chrome Lecturer. Dr. Sami M.Ibrahim
Department of Philosophy
College of Arts
Mosul University

Abstract:

Our research aims to identify the most important aspects of natural philosophy of Al-Farabi. It also aims to indicate the nature of this philosophy and its relevance. This research is about the vision of al-Farabi of the issue of existence and the first principle.

Therefore, this research stems from several questions, including:

- What is the truth of existence for al-Farabi?
- Is al-Farabi studies in depth the causes of existence?
- was al-Farabi successful in the provision of natural philosophy which describes the ambiguity of Aristotle?
- Do his views express the issue of duty and possible bias for substances?
- Does al- Farabi treatment of nature aims to uphold the mind?

To answer these questions, we divided the research into an introduction and three chapters and a conclusion:

Introduction: includes research motivations and justifications, and reasons for selecting the topic.

Section I: This section examines the nature of al-Farabi and addresses the problem of existence, trying to provide a complete overview of the views of al-Farabi in the statement of the truth of existence and natural discussion of the most important issues falling within it.

Section II: This section addresses the problem of mind and self in the flux of Al-Farabi, and discusses this issue through the constructed normal. This includes also reading the section of the dialectic of natural philosophy and psychology at al-Farabi and statement of significance.
Section III: deals with the causal of al-Farabi, indicating the theory to explain the reasons and disclosure of interdependence and its role in solving problems. It also addresses the idea of duty and its possible role in matters of natural issues.
Conclusion: It was dedicated to highlighting the main research results. Then a list of references that we have adopted in the writing of this search is to follow.
We have adopted two methodologies in this research:
- analytical method: the analysis of texts in order to detect components.
- historical approach: to trace the origin of natural philosophy and the reasons for its inception, al-Farabi, and the extent of enrichment of philosophical thought . we have seen that such an approach is important and necessary, because the way became clear for our different views and perceptions and interpretations to address the problem of the presence from its natural view.

المقدمة:

هدفنا في هذا البحث أن نقدم نظرة واضحة وشاملة لفلسفة الفارابي الطبيعية، كما سنقوم بإعطاء الأبعاد الكثيرة التي يتضمنها موضوع الوجود بهدف فهمها وتصورها على الوجه الأمثل. مستخدمين في ذلك منهج التحليل الفلسفي والمنهج النقدي والتاريخي.

وهناك مجموعة من التساؤلات كانت مدار اهتمامنا قبل اختيارنا لعنوان هذا البحث، تدور كلها حول مكانة الفارابي في الفلسفة العربية الإسلامية ، مثل هل حقا عالجت نظرية الفيض مشكلة الوجود؟ وكيفية تسلسل الموجودات فيها ؟ وما هي حقيقة الواجب والممكن ؟ وهل لموضوع النفس أهمية خاصة في المدينة الفاضلة ؟. وغيرها من التساؤلات. وأملنا أن تكون هذه الأسئلة محور اهتمامنا في هذا البحث الموسوم ب" الفلسفة الطبيعية عند الفارابي".

وقد قسمنا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث وخاتمة:

التمهيد: وفيه بينا المقصود بالفلسفة الطبيعية عند ارسطو والفارابي، كما بينا فيه مفهوم الطبيعة، والعلل والاسباب.

المبحث الأول: ويدرس هذا المبحث الطبيعة عند الفارابي كما يتناول مشكلة الوجود، محاولا تقديم رؤية كاملة لآراء الفارابي في بيان حقيقة الوجود الطبيعي وموضوعاته.

المبحث الثاني: يعالج هذا المبحث مشكلة العقل والنفس في النظام الفيض لدى الفارابي، ويناقش هذه لمسالة من خلال شقها الطبيعي . ويتضمن هذا المبحث أيضا قراءة لجدلية الفلسفة الطبيعية والنفس عند الفارابي وبيان أهميتها.

المبحث الثالث: ويتناول السببية عند الفارابي، مبينا نظرية الفارابي في تفسير الأسباب والكشف عن ترابطها ثم دورها في حل المشكلات . كما يتناول فكرة الواجب والممكن ودورها في بحث المسائل الطبيعية.

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث.

وكانت الدراسات السابقة التي أسهم في تطويرها العديد من الأساتذة ، سواء أكانوا عراقيين أم عربا، وخاصة في فلسفة الفارابي اكبر الأثر في اختيارنا لموضوع البحث . إلا ان معظم الدارسين والباحثين في الفلسفة الإسلامية قد اتجهوا في الأغلب إلى دراسة الفلسفة الطبيعية دراسة جزئية فأهملوا العديد من المسائل المتعلقة بها، وحصروا موضوعاتها في دوائر ضيقة. فهذه الدراسات مع انها قيمة ومفيدة وقد أفادتنا كثيرا ، إلا اننا نعتقد ان البحث في الفلسفة الطبيعية عند أي فيلسوف يتطلب البدء والوقوف على الكثير من المسائل الفلسفية كالطبيعة والصورة والمادة وما يتعاقب عليهما من قوة وفعل، وهنا تكمن الطبيعة التي تسري في مسائل النفس كما تسري في الأجسام لذلك فالبحث فيها مهم للغاية .

وهنا نلاحظ ان هدف البحث يستتبع أهدافا أخرى رئيسة ، فسنضطر في طريقنا إلى مبادئ الأجسام الطبيعية ان نعرض إثبات رأي الفارابي في المادة والصورة والقوة والفعل وتحقيق ذلك ، ثم نتكلم على الأجسام الحية والتي منها الكواكب والأفلاك ونفوسها . فالوجود بأسره سيكون موضوعا لدراستنا ، فضلا عن استعراض جميع جوانب فلسفة الفارابي ، وما دار حولها من أبحاث ، حتى نتمكن من استخلاص كل ما يتعلق بالطبيعة في جميع أعماله. ولعل ما تقدم ذكره يبين البواعث الأساسية التي دعتنا إلى دراسة هذا الموضوع .

ان موضوع البحث يتسم باتساع يصعب الإحاطة به ، لأنه متشعب ويتداخل مع الكثير من الموضوعات الأخرى .

وتكمن أهمية الموضوع في انه يمثل المحور الذي يدور حوله فكر الفارابي ، فهو يتسم بالغنى والخصب والعمق. ولكننا سنحاول دراسته بكل تفرعاته وصلاته في ضوء جميع ما وصل إلينا من مؤلفات الفارابي، وما استطعنا استخلاصه منها ، حتى لو كان بعضها في ظاهره يتصل بمجالات قد تبدو بعيدة عن ميدانه .

ومن نافلة القول الحديث عن صعوبات واجهتنا في هذا البحث ، فضلا عما يرتبط بحدود الموضوع واتساعه زمانيا ومكانيا ، وأبرز هذه الصعوبات قلة الدراسات التي تعالج موضوع الطبيعة من زاوية فلسفية، وخصوصا فلسفة الفارابي الممتدة في أعماق الطبيعة .

وعليه نبدأ محاولتنا هذه بدراسة الفلسفة الطبيعية عند الفارابي بغية كشف مكونات الطبيعة وحيثيات الوجود، وتتبع الأفكار والمواقف الجديدة التي جاء بها الفارابي.

التمهيد: الفلسفة الطبيعية عند أرسطو والفارابي

تشكل الفلسفة الطبيعية جزءا مهما من أجزاء الفلسفة الإنسانية، إذ تأتي أهميتها من خلال بحث الإنسان عن الأسرار الغامضة في الطبيعة ، لذلك فقد حاول الإنسان أن يجد إجابة دقيقة يعلل بها الكثير من الأسئلة التي كانت تدور في مخيلته الصغيرة، فكانت الإجابة التي انطلقت من بلاد اليونان قد أخذت خطوات وأشكالا متعددة من فلسفة وعلم.

ومهما يكن فان البحث عن تعليل أسرار الطبيعة ، هو الأساس لكل فلسفة نطلع عليها، وهكذا هي سمة الحياة الإنسانية، فضلا عن أن الفلسفة الطبيعية تحاول تفسير الظواهر الطبيعية وأحداثها تفسيرا يعتمد على النظر إلى الكون، وينطلق من مبادئ يفترض أنها قادرة على تغيير جميع أجزائه، ولهذا فان الفلسفة الطبيعية ليست مدرسة فلسفية قائمة بذاتها أو مذهبا فلسفيا محددا، بل هي مجرد نظرة إلى الكون ومحاولة لتغييره ، وقد تأتي النظرة مادية حينا، ومثالية حينا آخر، كما تأتي النظرة علمية مرة وغير علمية مرة أخرى .

وبالنسبة لأرسطو نجد ان للطبيعة معنيين: فهو يرى بالنسبة للمعنى الأول إن كل ماهية تسمى طبيعة، والمراد بالماهية ما به الشيء هوهو، أي مجموع الخصائص والمميزات الثابتة التي لا تتغير بتغير الظروف . والطبيعة بوصفها ماهية هي مبدأ وعلة كل كائن طبيعي من حيث كونه وفساده وحركته وسكونه . أما بالنسبة للمعنى الثاني فيرى أرسطو بان الطبيعة هي الحيوانات وأجزاؤها والنباتات والأجسام البسيطة مثل التراب والنار والماء والهواء، فيقال عن هذه الأشياء، والأشياء التي تشبهها إنها طبيعية توجد بالطبيعة وتتحرك بالطبيعة.

أما العلم الطبيعي عند الفارابي فهو ذلك العلم الذي يدرس الأجسام الطبيعية وأعراضها وغاياتها. وعند الفارابي نجد ان الأجسام الطبيعية توجد لأجل غرض وغاية كي تكمل قوام كل أمر وعرض من خلال الفاعل . وتتحقق هذه الغاية من خلال الحركة.

ويرى الفارابي ان مواد هذه الأجسام الطبيعية غير محسوسة وتدرك بالقياس والبرهان. وهذه المواد وصورها وفاعلها وغاياتها تسمى مبادئ الأجسام الطبيعية . لهذا السبب نجد ان الجسم الطبيعي يصبح ظاهرا في الوجود من خلال الأسباب الأربعة .

لقد قسم الفارابي العلم الطبيعي إلى ثمانية أقسام ، ابتدأ في تقسيم الجسم إلى بسيط ومركب وفي وجودها وانفعالاتها وموادها وما يشترك النبات وأنواعه والحيوان وأنواعه فيعطي العلم الطبيعي كل هذه الأنواع من الأجسام مبادئها الأربعة وإعراضها التابعة[١].

ويتحدث الفارابي عن حركة الأفلاك فلا يوجد في العالم المادي سكون ، كما أنه يرفض فكرة وجود الخلاء ، وأنه لا ابتداء زماني للحركة وانتهاء زماني لها، لذلك رفض فكرة الذريين القائلة بوجود جوهر لا يقبل التجزئة[٢] . ويتابع الفارابي نظرة الفلاسفة اليونان بالحديث عن العناصر الأربعة التي تكون العالم المادي والتي هي أصول الكون والفساد.

وبهذا الصدد يقول الفارابي بامتناع تسلسل العلل إلى مالا نهاية ومن ثم فإنه من الضروري التسليم بوجود العلة الأولى أو المحرك الأول، ويتابع النظرة الأفلاطونية المحدثة بنظرية الفيض، فعن الله فاض العقل الأول الذي عقل نفسه فوجد عنه العقل الثاني، وعنه فاضت جميع الأفلاك وصولا إلى العاشر وهو العقل الفعال وعن فيضه جاء عالم ما تحت القمر الذي تقف فيه الأجرام السماوية. كما يقوم الفارابي بتقسيم الوجود إلى واجب وممكن، وبذلك يكون وفق بين القائلين بقدم العالم وحدوثه ، فالعالم ممكن بذاته ولكنه واجب بغيره لأنه كان في علم الله وما كان في علم الله لابد أن يكون ، والعالم ليس حادثا في زمان لأن الزمان وجد مع العالم، تحرك العالم فوجد الزمان مع هذه الحركة ، وإنما كان وجوبه لأنه وجد في علم الله فأخرجه الله من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، فالعالم بالتالي كما كان في إرادة الله قديم وكما كان بالحركة مسبوق بذات الله، وهو سبق سرمدي لا يحده زمان ، فالمحرك الأول هو علة الحركة ، والحركة هي علة الزمان، والزمان والفلك إذا مخلوقات على السواء[٣].

بذلك كله يكون قد اتضح لنا في هذا التمهيد مبادئ الطبيعة ولواحقها، كذلك اتضح لنا مفهوم الوجود وفق معالجة الفلسفة اليونانية والإسلامية . والآن علينا أن نشرع في تفصيلات البحث وتقسيماته. وهذا ما سيتضح في المباحث القادمة.

---

[١]) ينظر: الفارابي ، إحصاء العلوم، تحقيق وتعليق عثمان أمين، القاهرة، ط٣ ،١٩٦٨م، ص١١١فما بعد.

[٢]) رسائل الفارابي: تحقيق: موفق فوزي جبر، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٦، ص١٢٠ فما بعد.

[٣]) المصدر نفسه، ص١٢٢.

المبحث الأول: الطبيعة والوجود عند الفارابي

المقصد الأول: الطبيعة عند الفارابي

يذهب الفارابي إلى التأكيد على ان الصورة هي الجوهر الجسماني وان المادة أو الهيولى هي التي بها يكون الجوهر بالقوة، وان الصورة قوامها بالمادة، وان المادة حاملة للصورة. هذا ما أكد عليه الفارابي في البداية. إلا أن الفارابي لا يقف عند هذا الحد بل يذهب إلى ان الصورة لا تتقوم الا بالمادة، لذلك فهي بحاجة إلى المادة لكي يتحقق وجودها . كما يذهب الفارابي إلى ان جوهر الهيولى ووجودها يتحقق عندما تحل فيها الصورة . وبذلك تخرج المادة من حالة القوة إلى حالة الفعل والتحقق . هذا القول يحمل الفارابي إلى قول آخر يتضمن علاقة المادة الأولى بالصورة . فالفارابي يرى ان المادة هي مبدأ وسبب لحمل الصورة فقط، أما الصورة فهي فاعلة ولها غاية ما تهدف لها[١].

ويرى الفارابي ان الصور كثيرة وهي على مراتب أدناها صورة العناصر الأربعة أي الاسطقسات الأربع ، بينما المادة أو الهيولى تكون واحدة للنار والهواء والماء والتراب . أما الصور الباقية الأخرى فهي صور الأجسام الحادثة التي تتكون نتيجة اختلاط العناصر الأربعة وامتزاجها ومتى كانت غلبة احد العناصر على العناصر الأخرى يوجد الشيء ويتسم بسمات معينة يختلف بها عن الأشياء الأخرى بسبب نسب هذه الاختلاطات[٢]. كما يرى ان صور الأجسام تكون ارفع من صور العناصر، وصور النباتات ارفع من صور الأجسام، وصور الحيوانات ارفع من النباتات، وصورة الإنسان تكون ارفع من صورة الحيوان غير الناطق[٣].

ولا يقف الفارابي عند هذا الحد بل يذهب إلى ان الصورة الأولى والمادة الأولى هي انقص الموجودات لان كل واحد منها مفتقر إلى الآخر. كما ان المادة لا ضد لها ولا عدم يقابلها [٤]. أما الجواهر غير الجسمانية فلا يشوبها النقص لأنها كاملة وشريفة ومتعالية على المواد، وهي ثلاثة: المبدأ الأول والجواهر الثواني والعقل الفعال[٥].

ويفصل الفارابي طبيعة الموجودات دون الأجسام السماوية، فيرى أنها دائما بالقوة، وما حركتها إلا للوصول إلى الكمال والتحقق بالفعل. وعلى ذلك فالموجودات تحت الجسم السماوي تكسب استكمالها من الجسم السماوي والعقل الفعال[٦].

---

١) الفارابي: السياسة المدنية، حققه وقدم له،الدكتور فوزي متري نجار، ط١، بيروت،(بلا تاريخ) ص٣٦.

٢) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، تقديم البير نصري نادر، دارالمشرق،(بيروت، ط٣،١٩٨٦) ، ص٦٤.

٣) المصدر نفسه، ص٥٩.

٤) الفارابي: السياسة المدنية، ص٣٨ -٣٩.

٥) المصدر نفسه، ص٤٠.

٦) المصدر نفسه، ص٥٤.

أما فيما يتعلق بموضوع العدم ، فيذهب الفارابي متفقا مع أرسطو في أن العدم لا وجود له إلا انه من الممكن أن يوجد[١]. هذا العدم برأي الفارابي يكون عندما يشوب وجود الشيء نقص ما يطرأ على وجوده[٢].

وفي موضوع المحرك أو الحركات يرى الفارابي بان المحرك الأول هو الفاعل الأول لجميع الحركات بغير توسط[٣]. وهنا يختلف الفارابي مع أرسطو ، إذ أن المحرك الأول الذي لا يتحرك لا يحرك بل الأشياء تتجه إليه . لكن مع هذا الاختلاف بين أرسطو والفارابي فإننا نجد اتفاقا بينهما في مسالة أنواع الحركات من حيث السرعة والاتجاه[٤].

وبصدد الحديث عن وجود الجسم الطبيعي ، يرى الفارابي ان هذا الجسم يوجد عندما تكون أسباب وجوده حاضرة، هذه الأسباب هي: السبب المادي والسبب الصوري والسبب الفاعلي ثم الغائي[٥]. كما يرى ان المادة واحدة ومشتركة وان الصور تتعاقب عليها وعلى هذا النحو يتحقق حال الموجودات وقوامها في الزمان والمكان[٦]. وبالنسبة للزمان والمكان يتفق الفارابي مع أرسطو، إذ يعرف المكان بأنه السطح الحاوي للجسم المحوي، أما الزمان فهو مدة تعدها الحركة[٧]، فلا زمان دون حركة ، ولا حركة دون متحرك ، والمتحرك معلول لعلة قديمة محركة هي الله ، فهو قديم مثله ، فالحركة إذن قديمة قدم المتحرك لتعلقها به ، وعليه فالزمان قديم شأنه شأن الحركة والعالم وفي ذلك رد الزمان إلى العالم ووجوده .

---

[١] المصدر نفسه، ص٥٦.

[٢] الفارابي: فصول منتزعة ، تحقيق وتقديم فوزي نجار،(دار المشرق،١٩٧١)، ص٧٩.

[٣] الفارابي: السياسة المدنية، ص٦٠.

[٤] للتفصيلات ينظر: الفارابي، رسالة الرد غلى يحيى النحوي في الرد على أرسطو طاليس، ضمن(رسائل فلسفية) تحقيق عبد الرحمن بدوي،(بنغازي، ١٩٧٣)، ص١١١ وما بعدها.

[٥] ينظر: الفارابي، رسالة في الرد على جالينوس فيما ناقض فيه أرسطو طاليس لأعضاء الإنسان، ضمن(رسائل فلسفية)، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، منشورات الجامعة الليبية،(بنغازي،١٩٧٣)، ص٣٩.

[٦] ينظر: الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص٦٣.

[٧] الفارابي: الجمع بين رأي الحكيمين، تحقيق البير نصري نادر،(بيروت،١٩٦٠)، ص١٠٨. وقارن: أرسطو، الطبيعة ، الترجمة العربية القديمة لأسحق بن حنين ، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، ١٩٦٤)،ج١، ص٤٥٤. وللتفصيلات ينظر: الالوسي، حسام، الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ، ١٩٨٠)، ص١٠٩ وما بعدها.

المقصد الثاني: الوجود عند الفارابي

اهتم الفارابي بدراسة مشكلة الوجود اهتماما كبيرا حاله في ذلك حال جميع فلاسفة العرب سواء الذين وجدوا في المشرق العربي أم في المغرب العربي. ومن الملاحظ أن الفارابي لا يفصل فصلا تاما بين الجوانب الفيزيقية والجوانب الميتافيزيقية حين دراسته للوجود، حتى يمكن القول بأنه قد يضفي على بعض المجالات التي يدرسها داخل النطاق الفيزيقي بعض الدلالات الميتافيزيقية .

وبصدد تفسير الوجود نرى الفارابي يفسر إشكالية وجود العالم من خلال طرح عدة أسئلة أهمها؟ كيف وجد العالم؟ وما هي حيثيات هذا الوجود ؟ وكيف يمكن البرهنة على انه وجد عن واجب الوجود ؟ وما هو الفرق بين الواجب والممكن ؟ وغيرها من الأسئلة.

وعند الإجابة على تلك التساؤلات من قبل الفارابي ، نراه يفسرها في إطار ميتافيزيقي مركزا على قدم الموجود الأول والذي منه انطلق في فلسفته الطبيعية . فجاءت براهينه على هذا الوجود والصفات التي يتصف بها والمفردات التي تعامل معها متفقة مع فلاسفة العصر الوسيط والتي كان موضوع التوفيق سمة رئيسة في فلسفتهم . لذا نجد الفارابي يعد الموجود الأول سبب الموجودات كلها ووجوده أفضل الوجود[١]. ولا يمكن أن يكون وجوده بغيره لأنه السبب الأول في وجود الأشياء ، إذ هو مبدأها جميعا ، وهو الذي أفادها صفة الوجود[٢]. ويجدر بنا أن نشير إلى أن الفارابي قد عد هذا الدليل دليل قاطع لإثبات الموجود الأول ، بعد ذلك يذكر صفات هذا الموجود . كصفة الكمال والأبدية والسرمدية والقدم وانه موجود بالفعل ولا يمكن أن يكون هناك علة أخرى لوجوده . واعتقد أيضا انه يجب أن يكون بسيط وواحدا، ولا يمكن أن يكون جسما ماديا لذلك فهو دائما عقل بالفعل ، ولا يعقل سوى ذاته ، وهو صورة خالصة لا يشوب وجوده عدم أو فناء [٣]. وهو واجب الوجود بذاته ولا يحتاج إلى غيره أبدا. وقد رفض الفارابي دليل الحكماء الطبيعيين الذين يرون أنه لابد من الاستدلال على وجود الله بآثاره ؛ لأن الصنعة تدل على الصانع، وهذا يعني أنهم يصعدون من الفعل إلى الفاعل، ومن المخلوق إلى الخالق، لكنه يرى أنهم يفكرون في الأفعال التي تصدر في العالم فلا يتجاوزون عالم الحوادث المتناقضة، ولا يجدون تصورات شاملة للموجودات. أما الفارابي، فقد أراد أن يصل إلى العلة الأولى الوحيدة، وهذه العلة الوحيدة هي واجب الوجود بذاته. ومعنى الموجود الواجب يحمل في ذاته البرهان على أنه واحد لا شريك له، فلو وجد موجودان كل منهما كامل الوجود وواجب الوجود لكانا متفقين من وجه ومتباينين من وجه،

---

[١]) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال،بيروت، بلا ت، ص٢٥.

[٢]) المصدر نفسه، ص٥٢.

[٣]) المصدر نفسه، ص٢٤.

وما به الاتفاق غير ما به التباين ، فلا يكون كل منهما واحدا بالذات، فالموجود الذي له غاية الكمال يجب أن يكون واحدا. فهو واحد بالذات لا تركيب فيه وليس له ليس ولا يمكن حده . ويستمر الفارابي في سرد صفات الموجود الأول ، إذ يقول:" ولا يمكن أن يكون له وجود بالقوة على نحو من الأنحاء ولا إمكان أن لا يوجد بوجه ما من الوجوه فلهذا هو أزلي دائم الوجود بجوهره وذاته"[١]. إن هذه الصفات التي وضعها الفارابي جاءت من رؤية فلسفية عميقة ، وهذا ما أكده دي بور بقوله:" إن أصحاب المنطق والفكر الفلسفي العميق يسعون دائما إلى إدراك الأشياء واستنباطها من أصولها "[٢].

وبصدد كيفية صدور الموجودات يتساءل الفارابي عن هذه الكيفية ويحرص على إيجاد جواب يتفق مع النقل، لذلك كانت حججه مثالية أكثر منها عقلية[٣]. وفي هذا الصدد يبين الفارابي أن العقل الأول فاض عن المبدأ الأول ، وهذا العقل هو الموجود الثاني وعنه وجدت سائر الموجودات الأخرى التي يتصف وجودها بالإمكان[٤]. كما يبين الفارابي أن وجود الموجودات لازم ضرورة عن وجود الله ، وبالتالي فان العالم واجب بغيره ممكن بذاته[٥]. وهذه الضرورة خاضعة لترتيب تنازلي يبدأ من الأكمل وينتهي إلى الأنقص وفق نظام سببي صارم تتماها فيه الماديات والروحانيات[٦]. وبصدد ترتيب الموجودات ، بينا ان الفارابي يراها تبدأ من المادة الأولى ثم المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم الإنسان وهو أعلاها منزلة من حيث عقلانية هذا الإنسان وشرفه [٧].

وهنا نجد أن الفارابي يذهب مذهب أرسطو خاصة في كتاب النفس[٨]. فهو يرى ان الأجرام السماوية تؤثر في تركيب الأجسام وتسيطر عليها وتتحكم في مصيرها[٩]. كما تأثر الفارابي هنا بفلسفة أرسطو في المحرك الأول . وعموما كان للفارابي الفضل في توطيد أركان الفلسفة في العالم الإسلامي ؛ فقد اتخذت شكلها التي آلت إليه بعد وفاته إلى أن جاء

---

١) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص٢٦.

٢) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، تحقيق عبد الهادي أبو ريدة ، دار النهضة،(بيروت،١٩٦٥)، ص١٦٣.

٣) انظر: أفلوطين، التساعية الرابعة، تحقيق فؤاد زكريا، (الهيئة المصرية،١٩٧٠)، ص٣٩-٤٩.

٤) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص٢٤.

٥) المصدر نفسه، ص٤٥.

٦) المصدر نفسه ، ص٥٦.

٧) المصدر نفسه ، ص٥٩.

٨) انظر: أرسطو، كتاب النفس، نقله إلى العربية احمد فؤاد الاهواني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،١٩٦٢، ص٤ وما بعدها.

٩) الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص١٠٧.

عصر ابن رشد؛ إذ مزج الفارابي بين الأفلاطونية والأفلوطينية من جهة والفلسفة الأرسطية المشائية من جهة ثانية .

المبحث الثاني: العقول والأنفس في النظام الطبيعي والفيض لدى الفارابي

المقصد الأول: الفيض والنظام الطبيعي للعقول والأنفس

إن تسليط الضوء على فلسفة الفارابي خاصة في جانبها الطبيعي لا يعني الموافقة على كل كلمة جاءت فيها ، فالفلسفة تؤسس للنظرة النقدية للمواضيع المطروحة ، ومن أكثر المسائل التي لاقت انتقادا لدى الفارابي هي نظرية الفيض وحيثيات الوجود . وفيها يرى الفارابي أن العقل الأول صدر عن الله[١]، ومنه صدر عقل ثان واستمر الفيض إلى العقل الفعال . والفيض في نظره هو صدور عن واجب الوجود دون إرادة . فالموجودات تفيض عن الأول لا عن قصد منه ولا عن طبع وإنما ظهرت الأشياء عنه لكونه عالما بذاته وبأنه مبدأ الخير في الوجود[٢].

وإذا كان الوجود قد وجد عن الموجود الأول لا بإرادة ولا اختيار، فان بعض هذا الوجود مشاهد بالحس وبعضه الآخر معلوم بالمنطق والحجة[٣]. ووجود ما يوجد عنه إنما هو على جهة الفيض. فعلى هذه الجهة لا يكون وجود ما يوجد عنه على أنه غاية لوجود الأول ، إذ إن الواجب الوجود بذاته لا علة له، ولا يمكن أن يكون وجوده مكافئا لوجود آخر، فيكون كل واحد منهما مساويا للآخر في وجوب الوجود ويتلازمان. كما أن الواجب الوجود لا يجوز ان يجتمع وجوده عن كثرة البتة. ولا يجوز أن تكون الحقيقة التي له مشتركا فيها بوجه من الوجوه، حتى يلزم تصحيحنا ذلك أن يكون واجب الوجود غير مضاف، ولا متغيرا، ولا متكثرا، ولا مشاركا في وجوده الذي يخصه. أما الواجب الوجود لا علة له، فظاهر. لأنه إن كان لواجب الوجود علة في وجوده، كان وجوده بها. وكل ما وجوده بشيء، فإذا عد بذاته دون غيره لم يجب له وجود، وكل ما إذا عد بذاته دون غيره، ولم يجب له وجود، فليس واجب الوجود بذاته. فبين أنه إن كان لواجب الوجود بذاته علة لم يكن واجب الوجود بذاته، فقد ظهر أن الواجب الوجود لا علة له. وظهر من ذلك أنه لا يجوز أن يكون شيء واجب

---

[١]) ينظر: الفارابي، فصوص الحكم، تحقيق الشيخ محمد حسن الياسين، مطبعة المعارف، بغداد،١٩٧٦، ص٥٨. كذلك ينظر: الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تقديم البير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط٣، ١٩٨٦، ص٥٥.

[٢]) ينظر: الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص١٠٥فما بعد.

[٣]) ينظر: الفارابي، رسالة في الملة الفاضلة، ضمن (رسائل فلسفية)، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي،١٩٧٣، ص٣٤ فما بعد.

الوجود بذاته، وواجب الوجود بغيره، لأنه إن كان يجب وجوده بغيره، فلا يجوز أن يوجد دون غيره، وكلما لا يجوز أن يوجد دون غيره، فيستحيل وجوده واجبا بذاته. ولو وجب بذاته، لحصل. ولا تأثير لإيجاب الغير في وجوده الذي يؤثر غيره في وجوده فلا يكون واجبا وجوده في ذاته . على هذا الأساس ليس وجوده الذي بجوهره أكمل من الذي يفيض عنه وجود غيره، بل هما ذات واحدة[١]. وهنا نلاحظ ان آراء الفارابي في الموجود الأول تتفق مع مبادئ الإسلام وما يقرره بشان الذات الإلهية ، فهو يرى أن الله لا يشوب وجوده عدم. لذلك هو أزلي دائم الوجود بذاته .

يتضح مما تقدم ان نظرية الفيض لدى الفارابي حققت تجاوزا لأرسطو وأفلوطين، خصوصا ان الفارابي لم يتبن فكرة الفيض الأفلاطونية تبنيا غير نقدي، فقد اكتسبت على يده تطورا ملحوظا . ويتضح ذلك في أن الفارابي يلح دائما على التفرقة بين المادة وما يفارقها. فالعقول العشرة في نظريته الفيضية ليست أجساما، وهناك إعلاء للعقل والروح. ويرى محمد عبد الهادي أبو ريدة في ترجمته لتاريخ الفلسفة في الاسلام: "ان الفارابي هو أول من أدخل مذهب الصدور في الفلسفة الإسلامية " [٢].

وفيما يتعلق بأقسام النفس يرى الفارابي أنها تنقسم إلى ثلاث قوى: الحس، والتخيل، والعقل. والسعادة عند الفارابي مرتبطة بتصوره للتركيبة الإنسانية للنفس[٣]. ويرى ان أفراد المدينة لا تتحقق لهم السعادة ، ولا تصبح مدينتهم فاضلة، إلا إذا ساروا على غرار رئيسهم، وأصبحوا صورة منه، وان الرئيس لا يعدو مؤديا رسالته إلا إذا وصل بهم إلى هذا المستوى الرفيع من القيادة. لذلك يظهر الفارابي أثر الأفعال الحسنة في تقوية جزء النفس المعد بالفطرة للسعادة[٤]. وعليه فالنفس هي الآلة التي يتم بها تحصيل السعادة وليس البدن لأن البدن يبطل أما النفس فلا تبطل ببطلانه، من هنا يكشف الفارابي عن عمق العلاقة بين السعادة والنفس . فاتصال الأنفس المتشابهة بعضها ببعض يزيد من سعادتها " لأنها واحدة تعقل ذاتها وتعقل مثلها مرارا كثيرة ويزيد ما يعقل منها بلحاق الغابرين بهم في مستقبل الزمـــان فيكـــون تزيد لذات كل واحد في غابر الزمان بلا نهاية "[٥]. إن موقف الفارابي هذا يقربنا من مواقف

---

١) ينظر: الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص٥٦.

٢) دي بور: تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ص١٥٠.

٣) ينظر: الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص١٠٥. كذلك ينظر: الفارابي، رسالة في أعضاء الحيوان وأفعالها وقواها، ضمن(رسائل فلسفية)، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، منشورات الجامعة الليبية، (بنغازي،١٩٧٣)، ص٨٤ -٨٥.

٤) الفارابي ، السياسة المدنية ، ص٨١.

٥) الفارابي ، السياسة المدنية ، ص٨٢.

المتصوفة. فهؤلاء يعتقدون أن السعادة لا تكون إلا بالعرفان، ولا تدرك إلا بالإشراق الذي يجعل المتصوف يحيى نشوة روحية نتيجة الإلهام الذي يغمر قلبه، فيصبح به فانيا عن كل وجود، فيحس بالفناء بالذات الإلهية أو حلول بركة الله فيه. وإذا عدنا إلى موقف الفارابي بشان المعرفة فسنجده يؤكد على ان الخيال يدرك ما ارتسم من المحسوس أما العقل فلا يدرك إلا المعقول[١].

كما يرى الفارابي ان الحس الذي يدرك ذلك المتعين إنما هو قوة في النفس[٢]. وفعل الحس إنما هو حصول مثال الشيء المتعين في القوة الحسية[٣]. هذا بالإضافة إلى اننا نحس بالشيء بسبب انعكاسه على حواسنا. مثال ذلك نحن نبصر الشجرة ما دامت موجودة بالفعل في الخارج. وفي المقابل يمكننا أن نستعيد تلك الشجرة في ذهننا بعد انقطاع حاسة البصر عنها. ويتم ذلك بواسطة الخيال[٤]، إذ هو الأثر الحاصل في النفس بعد ذهاب الحس وهو مفارق للموضوع، ومن المؤكد لدى الفارابي أنه يقترن بكل قوة نزوع، إما إلى ما تحسه أو ما تتخيله أو ما تعقله. ومن ثمة يكون العلم والإرادة على ثلاث مدرجات . فالإرادة تكون بالنزوع إما إلى الحس وإما إلى التخيل وإما إلى التعقل[٥]. من أجل ذلك يرى الفارابي أن القوة المتخيلة تكون معرفتها خالصة من المادة ومكانها العقل[٦]. وللتفرقة بين قوتي الحس والخيال يذهب الفارابي الى أن هاتين القوتين تحتاجان إلى آلات جسمانية، وهي ما يستغني عنها العقل، خاصة ان العقل يزيد من ذاته فعلا تجريديا من ضرب آخر، وذلك حين يتبين المعاني التي تلزم عن وجود تلك المعقولات الأولى في العقل، ويخلصها ثم يرتبها[٧]. فمثلا ان الإنسان المعقول الحاصل في العقل ، أو الحيوان المعقول الحاصل في العقل من حيث أن الأول إنسان، والثاني حيوان، إنما هما طبائع هي هي لا تقتضي في أمر نفسها لا الكلية، ولا الجزئية، ولا الوجود ولا العدم. بل كل هذه المعاني إنما تلزم من وجود تلك الطبائع في النفس، فيكون العقل هو الذي يجردها. ولهذا السبب كان العقل الذي بالقوة بحاجة إلى أن يخرج إلى الفعل عن

---

١) الفارابي: فصول منتزعة، ص٢٧.

٢) ينظر: الفارابي، رسالة في أعضاء الحيوان وأفعالها وقواها، ص٩٢.

٣) ينظر: الفارابي، فصوص الحكم، ص٧٦ فما بعد.

٤) الفارابي: فصول منتزعة، ص٢٨. كذلك ينظر: الفارابي: كتاب الملة ونصوص أخرى، ص٣٨ فما بعد.

٥) ينظر: الفارابي، فصوص الحكم، ص٨٠. كذلك ينظر: الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص١١٥.

٦) ينظر: الفارابي، رسالة في أعضاء الحيوان وأفعالها وقواها، ص٨٦ فما بعد . كذلك ينظر: الفارابي، أراء أهل المدينة الفاضلة ، ص١٠٠.

٧) ينظر: الفارابي، فصول منتزعة، ص٩٩.

طريق الحركة النفسية[1]. هذا الموقف من الخيال دفع بالفارابي إلى جعل الحقيقة الدينية تابعة للحقيقة الفلسفية. بل أكثر من ذلك، لم يكن جمعه بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو سوى محاولة أخيرة لتخليص الفلسفة من رواسب الخيال التي ظلت عالقة بفلسفة أفلاطون. لكن هل تمكن الفارابي فعلا من القضاء على الخيال بفضل إستراتيجية التوفيق بين الدين والفلسفة أو الجمع بين آراء الفلاسفة ؟ أما هذا فأمر آخر؛ ليس جوابه هنا.

وأخيرا يرى الفارابي أن الصور الخيالية ينبغي أن تتغير من جنس إلى آخر[2]. وهنا ينبغي الإشارة إلى أن التجريد لا يكون من فعل العقل فقط ، بل من الفيض النوراني الذي سيقود إلى المعرفة[3]. وهذه المعرفة تكون بتجريد المعاني الكلية من المحسوسات، النبي والفيلسوف كلاهما يتلقى حقائق وينقلها للآخرين. وأن معرفة الحقائق مصدرها الله لكن هناك فرقا بين حقائق النبي وحقائق الفيلسوف فالفيلسوف يتلقى الحقائق بوساطة العقل الفعال فتكون طبيعتها عقلية وليس حسية، أما الرسول فتأتيه المعارف منزلة من عند الله بتوسط الملك جبريل عليه السلام ويتلقى الوحي بالمخيلة ثم يتم تحويل الصور المتخيلة إلى صور ومعان.

وإذا كان الفارابي أقرب لأفلاطون في هذا الموقف، فإنه وافق أرسطو بأن الحواس هي الطريق التي تستفيد منها النفس الإنسانية المعارف. وعلى الرغم من تأثر الفارابي المزدوج بالإسلام والفلسفة اليونانية، فإن المطلع على فلسفته لا يستطيع إلا أن يرى تفرده في مذهب خاص به هذا المصدر هو عقله الذي أتاح له إبداع فلسفة متميزة.

المقصد الثاني: قراءة لجدلية الفلسفة الطبيعية والنفس عند الفارابي

يعد كتاب "آراء أهل المدينة الفاضلة"، نموذجا واضحا لجدلية الفلسفة الطبيعية والنفس عند الفارابي. فهذا الكتاب يتضمن خطابا في الفلسفة الطبيعية، خاصة ان الأمر يتعلق بالحديث عن واجب الوجود وفيض العقول، وعن المادة والصورة، وعن اتصال النفس بالعقل الفعال. وان العقل مصدر النظام والتوازن في قوى النفس.

فضلا عن أن الفارابي كان قد اشترط ضرورة وجود الفلسفة في رئاسة المدينة ، ذلك إن الفيلسوف برأيه يملك القدرة للاتصال بالعقل الفعال ، فيستمد المعارف العقلية بعقله . ولعل ذلك ما دعا المستشرق دي بور إلى أن يستنتج من الصفات التي أحصاها الفارابي للرئيس الأول، في المدينة الفاضلة، أن هذا الرئيس هو أفلاطون في ثوب النبي محمد عليه الصلاة

---

[1]) ينظر: الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص١٠٢. كذلك، الفارابي: كتاب الملة ، ص٣٨.

[2]) ينظر:الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص١١٤-١١٥.

[3]) المصدر نفسه، ص١٠٩.

والسلام[1]. فالتفلسف في نظر الفارابي هو الطريق الوحيد للعروج إلى الله، وهو العلم الوحيد القادر على وضع صورة شاملة للوجود الإنساني. هذه النزعة المنطقية لدى الفارابي ساهمت في تبنيه فكرتي الممكن والواجب ، بدلا من فكرتي المحدث والقديم، حيث كان الوسط الذي يعيش فيه يقول بمبدأ الخلق من عدم . ولهذا كان هم الفارابي محاولة التوفيق بين الإله كما جاءت به الفلسفة وبين الإله كما جاء به القرآن. فالفلسفة عنده تستعين بالدين في دعم الآراء الإلهية والأخلاقية والطبيعية لكي تكون أفكارها أكثر يقينية عن الكون والعلاقة بين عالم الشهادة وعالم الغيب، والمثال على ذلك إثبات واجب الوجود. وليس المراد من إثبات الواجب ان يوضع الواجب، ويحمل عليه الوجود بان يقال: الواجب موجود، بل بيان ان بعض الموجود واجب، وبذلك التقدير إنما يلزم كون الوجود ضروريا للواجب لو كان الإشارة به إلى الثابت في نفس الأمر، أما إذا كان المراد ما فرض كونه واجب الوجود فلا، وبالجملة ان المقصود بيان ان لهذا المفهوم الذهني المحتمل الوجود ما يطابقه في الخارج ، وإذا كان كذلك فلا ريب ان مجرد تصور المفهوم غير مستلزم بكونه ذا حقيقة في الخارج فاحتاج إلى الإثبات ... هذا المفهوم الفلسفي يعتمد على أساس إيماني لإثبات البارئ (جل شأنه). إلى هذا الحد يكون ضروريا أن يتوفر شرط التعقل أو التفلسف في سياسة المدينة ونظامها العقلي[2]. وأيضا نجد ان العقل الفعال يحتل المكانة الرئيسة في كل فلسفته بأقسامها الإلهية والطبيعة السياسية ، لأنه ينظم عالم الكون والفساد ويربطه بعالم الخلود والثبات[3].

ومن الملاحظ أن الفارابي قد أخضع السياسة المدنية لنظرية عقلية ونفسية. فالكيفية التي تصور بها مهمة العقل البشري ضمن صيغة العلاقة بينه وبين العقل الفعال ، وصيغة العلاقة بين النفس والجسم ، هي التي يتوقف عليها مصير المجتمع المدني، وبنيته وتدبيره والعلاقة بين فئاته. فصياغة المجتمع المدني ترجع عنده في آخر المطاف إلى العقل الذي يتجلى في السياسة. فكلما حصل استعداد في مادة فاضت عليه من العقل الفعال أو النفس الكلية نفس جزئية، وانفصال النفس الجزئية عن النفس الكلية يجعلها مستقلة استقلالا تاما، فهي حين تدخل الجسم المستعد لاستقبالها تكمل وجوده وتستقل فيه، وفي بحث الفارابي عن مصير النفس البشرية، فإننا نجد أنه لا يؤمن بوجود الجنة والنار حسيا وتتخذ منهما رمزا للسعادة أو الشقاء على الأغلب.

---

[1]) للتفصيلات ينظر: محمد عابد الجابري ، نحن والتراث، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠م، ص٤٣.

[2]) الفارابي : آراء أهل المدينة الفاضلة، ص١٣٠.

[3]) محمد المصباحي: من المعرفة إلى العقل ، دار الطليعة، بيروت ، ط ١، ١٩٩٠ ، ص٣٣.

وفيما يتعلق بمصير النفس وهيأتها يرى الفارابي ان الأنفس الصالحة حين تغادر الأبدان لا حاجة لها إلى المادة ، أما الأنفس الشريرة فتبقى في شقائها. وكلما بلغت الأنفس معارفها درجة من الكمال عليا ، اقتربت من العقل الفعال، وهو حين تقترب منه تبلغ السعادة وتكتمل النفس عند الفارابي بالفعل، إن الإنسان في الحقيقة هو العقل، وكلما أفاض العقل الفعال على عقل الإنسان من صورة وتكاثرت هذه الصورة فيه صار مشابها للعقل الفعال فحصلت سعادته القصوى[١]. وهذا عين ما رآه أفلوطين من حصول السعادة في الاتحاد ، وهو ما رآه بعد عدة قرون محيي الدين بن العربي . وأخيرا يرفض الفارابي قول أفلاطون القائل أن النفس تنتقل من جسم إلى آخر ، فهي تفيض على الجسم من العقل الفعال ساعة يتم حدوث الاستعداد في هذا الجسم ، وهي بالتالي غير سابقة على وجود الجسم[٢] . إن دراسة الفلسفة الطبيعية عند الفارابي وما انتهت إليه آراؤه وان كانت لا تحل الكثير من المشكلات المطروحة اليوم، فإنها كانت حلا معقولا بل أكثر الحلول معقولية في زمانها مقارنة بالسابقين عليها.

المبحث الثالث: السببية وفكرة الوجوب والإمكان عند الفارابي

المقصد الأول: السببية ونظام الوجود

تكتسب السببية أهمية خاصة عند الفارابي، فهي تطرح علاقة الفكر بالواقع بالتجربة، والعلم بالحرية، ودور العقل والإنسان في معرفة الواقع وتغييره. وسيبقى مفهوم السببية محورا مركزيا في البنيان الفلسفي لأي فيلسوف يريد إنشاء النظام الفلسفي الخاص به سواء أقبله أم رآه على شاكلة أخرى. كما سنشير إلى ذلك عند مناقشة هذا الموضوع عند الفيلسوف الفارابي موضوع بحثنا.

حاول الفارابي بناء نظام للكون المادي يوفق فيه بين العقل والدين، فالموجودات في نظره تؤلف سلسلة متصلة لأن الوجود برأيه واحد، كما أن إبداع العالم وحفظ وجوده شيء واحد، وليس العالم مظهرا لوحدة الذات الإلهية وتجليها، وفي نظام كهذا تصبح قضية العلاقة بين الواحد والكثير نقطة الانطلاق للبنيان الفلسفي للعالم[٣]، إذ رفض الفارابي مفهوم المصادفة في الطبيعة مؤكدا على المبدأ السببي فهو يرى ان الشيء لا يعدم بذاته وإلا لم يصح وجوده، والذي يتوهم في الحركة أنها تعدم بذاتها محال ، فإن لعدمها سببا ، فإذا بطلت الحركة الأولى تبع بطلانها وجود حركة أخرى. فلا يوجد في الكون طبعا حادثا أو اختيارا حادثا إلا عن

---

[١]) الجندي، إنعام: دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية، ، ص٩٠.

[٢]) للتفصيلات ينظر: حنا الفاخوري وخليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٣، ص٣٧٦ فما بعد.

[٣]) صليبا، جميل: تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٣، ص١٤٧.

سبب يرتقي إلى مسبب الأسباب[١]. والأسباب عند الفارابي إما أن تكون قريبة ، وإما بعيدة، وقد يحدث أن يجد العالم أمورا لها أسباب بعيدة فلا تضبط فيظن بتلك الأمور أنها اتفاقية[٢].

فضلا عن أن الفارابي يقسم الموجودات إلى درجات تبدأ بالعقل المنفعل أو العقل الذي يحتفظ بصور الموجودات أي ماهياتها دون المادة، فهو يجرد الموجودات ليبقي على المعاني المجردة، فالعقل المنفعل هو عبارة عن مادة مستعدة لقبول المعقولات ووظيفته أن ينتزع صور الأشياء دون موادها حتى تصير فيه بالفعل فنفس الطفل مثلا عالمة بالقوة، فهو يدرك صور الأجسام بوساطة الحواس والمتخيلة، ثم ينتقل بعد ذلك إلى إدراك الكليات فتصير عالمة بالفعل، وهذا يؤكد النظرة العقلية للفارابي القائلة بفطرية المعارف، ثم ينتقل إلى العقل بالفعل وهو الذي يكون بعد الحصول على صور الموجودات حيث تصبح الذات العاقلة عقلا بالفعل عندما اكتسبت ما لم يكن فيها ، فالعقل بالفعل هو العقل بعد إدراكه للمعقولات وبعد انتقاله من مرحلة القوة إلى مرحلة الفعل، وهو فوق العقل المنفعل حيث تحصل فيه المعقولات بالفعل، أي إن للمعقولات قبل أن تعقل وجودا بالقوة في الأشياء المادية، ومتى انتزعها العقل عن الأشياء صارت معقولات بالفعل ويتم الانتقال من القوة إلى الفعل بوساطة العقل المفارق الفعال الذي يوزع النور على العقول الفردية. ومن هنا يعتبر الفارابي بأن المعرفة الإنسانية يقينية لأن المعرفة وصور الأشياء هي من أصل واحد، وبعدها تأتي مرحلة العقل المستفاد الذي عده أرقى من العقل المنفعل لأنه أصبح بعد أن عَقِل الموجودات أكثر ابتعادا عن المادة واقترابا من العقل الفعال، فالعقل المستفاد هو الذي يدرك المعقولات المجردة والصور المفارقة، وبعد ذلك تأتي المعرفة الإشراقية[٣]. من ذلك نخلص إلى ان السببية والمعرفة عند الفارابي ترتكز على أعمدة ثلاث، حسية وعقلية وإشراقية. ولقد جعلها على وفق درجات متفاوتة ومختلفة بحسب قدرات البشر عند قربهم أو بعدهم من العقل الفعال والاستغراق فيه. فهناك الناس العاديون ثم الحكماء والعلماء ثم أعلاهم شأنا الأنبياء. وفي هذا الصدد لاحظنا كيف ان نظرية الفارابي في السببية تعد الاعتبارات لا تختلف عن الصادرات التي يتوقف تبرير صدورها عنها ، فصدور العقل يناسب الوجوب، وصدور الجسم يناسب الإمكان، كما ان صدور النفس يناسب الاعتبارين من الوجوب والإمكان ، إذ انه واجب بغيره وممكن بذاته. وهنا نلاحظ أن الفارابي كان أحيانا مثاليا في منطلقاته الفلسفية لكن هناك فرقا بين مثالية وأخرى فقد جرت عملية معالجة السببية على يدي بعض أشكال المثالية أيضا بيد أن للفارابي

---

[١] رسائل الفارابي: تحقيق، موفق فوزي جبر، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٦، ص١٥٣.

[٢] المصدر نفسه، ص١٦٩.

[٣] نجار، رمزي: الفلسفة العربية عبر التاريخ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩، ص٩٢. كذلك ينظر، صليبا، جميل: تاريخ الفلسفة العربية ، ص١٦٠.

ميلا نحو المادية أو تردد بين المثالية والمادية عند حل عدد كبير من القضايا وله أحيانا بعض الخروج عن المبادئ والفلسفة الإسلامية. وإذا أردنا أن نحكم على الفارابي من أقواله، فإنها تدل بأنه قد نجح في تحقيق مستوى محدود من الاتصال بعالم الروح، وإلا ما كان سيؤمن بمثل هذا الاتصال، وما كان سيحسن الحديث عن أدواته بالقوة المتخيلة كما سماها عن طريق الحواس التي جعلها أدوات المعرفة.

المقصد الثاني: فكرة الواجب والممكن عند الفارابي

يقسم الفارابي الموجودات إلى قسمين هما: ممكن الوجود وواجب الوجود. واجب الوجود هو الموجود الذي وجوب وجوده من ذاته والذي يترتب على عدم وجوده استحالة وجود أي شيء. ويرى الفارابي ان واجب الوجود هو الموجود الذي وجوده من ذاته، فإذا فرضنا عدم وجوده للزم عن ذلك محال[١]. أما ممكن الوجود فهو الذي وجوده من غيره، فإذا فرض عدم وجوده لم يؤد ذلك إلى المحال . فضلا عن أن ممكن الوجود يتعادل وجوده وعدمه، أي أن وجوده وعدمه سواء إلا إذا ترجح أحدهما على الآخر[٢]. فإذا ترجح وجوده كان لابد له من مرجح يرجح وجوده على عدمه . فلابد لكل ممكن الوجود من مرجح لوجوده على عدمه، ولا يمكن أن تمضي سلسلة المرجحات الممكنة الوجود إلى مالا نهاية ، فلابد إذن أن نصل إلى سبب أول هو علة وجود كل الممكنات وهو الله[٣]. إن واجب الوجود يجب أن يكون ذاتا واحدة، وإلا فليكن كثرة ويكون كل واحد منها واجب الوجود، فلا يخلو إما أن يكون كل واحد منها في المعنى الذي هو حقيقته، لا يخالف الآخر البتة أو يخالفه. فإن كان لا يخالف الآخر في المعنى الذي لذاته بالذات، ويخالفه بأنه ليس هو، وهذا خلاف لا محالة، فيخالفه في غير المعنى. وذلك لأن المعنى الذي هو فيهما غير مختلف. والأشياء التي هي غير المعنى وتقارن المعنى هي الأعراض واللواحق غير الذاتية. وهذه اللواحق إما أن تعرض لوجود الشيء بما هو ذلك الوجود فيجب أن يتفق الكل فيه وقد فرض أنها مختلفة فيه، وهذا خلف. وإما أن تعرض له عن أسباب خارجة لا عن نفس ماهيته، فيكون لولا تلك العلة لم يختلف، فيكون لولا تلك العلة لكانت الذوات واحدة أو لم تكن، وذلك بانفراد، واجب الوجود لا من حيث الوجود، بل من حيث الأعراض، فيكون وجوب وجود كل واحد منهما مستفادا من غيره . وقد قيل إن كل ما هو واجب الوجود بغيره فليس واجب الوجود بذاته ، بل هو في حد ذاته ممكن الوجود،

---

[١] الفارابي: عيون المسائل، ضمن رسائل الفارابي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٩٢٦م ، ص٤. كذلك ينظر: الفارابي، فصول منتزعة ، ص٧٩.

[٢] ينظر: الفارابي ، فصول منتزعة ، ص٧٨.

[٣] ينظر: الفارابي ، عيون المسائل ، ص ٤. كذلك ينظر: الفارابي ، فصوص الحكم، ص٥٢.

فتكون كل واحدة من هذه ، مع أنها واجبة الوجود بذاتها، ممكنة الوجود في حد ذاتها وهذا محال. ولنفرض الآن أنه يخالفه في معنى أصلي، بعد ما يوافقه في المعنى، فلا يخلو ذلك المعنى إما أن يكون شرطا في وجوب الوجود أو لا يكون. فإن كان شرطا في وجوب الوجود، فظاهر أنه يجب أن يتفق فيه كل ما هو واجب الوجود، وإن لم يكن شرطا في وجوب الوجود، فوجوب الوجود متقرر دونه وجوب وجود، وهو داخل عليه وعارض. فإذن لا يجوز أن يخالفه في المعنى. بل يجب أن نزيد لهذا بيانا من وجه آخر وهو: أن انقسام معنى وجوب الوجود في الكثرة لا يخلو من وجهين: إما أن يكون على سبيل انقسامه بالفصول وإما على سبيل انقسامه بالعوارض. ومن المعلوم أن الفصول لا تدخل في حد ما يقام مقام الجنس. فهي لا تفيد الجنس حقيقته، وإنما تفيده القوام بالفعل، وذلك كالناطق، فإن الناطق لا يفيد الحيوان معنى الحيوانية، بل يفيده القوام بالفعل. ويلاحظ ان الفارابي قد استدل على وجود واجب الوجود بذاته، لا من خلال الحدوث أو العناية أو الاختراع وإنما من نفس الوجود، بغض النظر عن الواقع، ويؤكد أن تصور الذهن للوجود وحده يؤدى به حتما إلى الاعتراف بواجب الوجود[1]. وتجدر الإشارة إلى ان الفارابي يرفض دليل الفلاسفة الطبيعيين الذين يرون أنه لابد من الاستدلال على وجود الله بآثاره لأن الصنعة تدل على الصانع، وهذا يعني أنهم يصعدون من الفعل إلى الفاعل، لكنه يرى أنهم يفكرون في الأفعال التي تصدر في العالم فلا يتجاوزون عالم الحوادث المتناقضة . لقد كان هدف الفارابي الوصول إلى العلة الأولى والتي يسميها واجب الوجود. وهذه العلة واحدة فلو وجد موجودان كل منهما كامل الوجود وواجب الوجود لكانا متفقين من وجه ومتباينين من وجه ، وما به الاتفاق غير ما به التباين، فلا يكون كل منهما واحدا بالذات، فالموجود الذي له غاية الكمال يجب أن يكون واحدا بالذات لا تركيب فيه[2].

معنى هذا أن الفارابي يستدل على وجود الله بالتفرقة بين الممكن والواجب، وأيضا بقسمته للواجب إلى واجب بذاته وواجب بغيره. وإذا تحقق هذا الإمكان أي أصبح وجودا، فإنه لابد من القول بوجود إله يخرج الإمكان إلى الوجوب، أي يخرج العالم من طور الإمكان إلى مرحلة الوجود.

ولكي يفرق الفارابي بين العالم الواجب بعد أن وجد ، وبين الله واجب الوجود بذاته، ميز بين الواجب بذاته وبين الواجب بغيره. فالله واجب بذاته أما العالم فهو واجب بغيره. أما ممكن الوجود فهو دائما، باعتبار ذاته، ممكن الوجود، لكنه ربما عرض أن يجب وجوده بغيره،

---

[1]) ينظر:الفارابي، رسالة في الملة الفاضلة، ص٣٤.

[2]) المصدر نفسه، ص٣٦.

وذلك إما أن يعرض له دائما، وإما أن يكون وجوب وجوده عن غيره ليس دائما ، بل في وقت دون وقت. فهذا يجب أن يكون له مادة تتقدم وجوده بالزمان. والذي يجب وجوده بغيره دائما، فهو أيضا غير بسيط الحقيقة، لأن الذي له باعتبار ذاته، غير الذي له من غيره، وهو حاصل الهوية منهما جميعا في الوجود، فلذلك لا شيء غير واجب الوجود تعرى عن ملابسة ما بالقوة والإمكان باعتبار نفسه[١].

وإذا كنا قد ذكرنا أن من معالم نظرية الفارابي فيما يتعلق بالواجب والممكن، فإننا قد نجد شبها بينها وبين نظرية القوة والفعل عند أرسطو، وانتقال الشيء من مرحلة الوجود بالقوة إلى مرحلة الوجود بالفعل، قد نجد بينها وبين فكرة الممكن والواجب نوعا من التشابه، ولكن الأساس غير الأساس والتصور غير التصور، وإلا فكيف نفسر نقاط الالتقاء بين اعتماد الفارابي على تحليل فكرتي الممكن والواجب وبين الوقوع في التيار الأشعري. إن هذا التمييز بين طبيعة الممكن وطبيعة الواجب يعد من بعض زواياه تأثرا بالمقدمة الكلامية التي تقول إن العالم بجميع ما فيه جائز أن يكون على مقابل ما هو عليه. وهذا ما أدى بالأشاعرة إلى القول إن العلاقة بين الأسباب والمسببات تعد علاقة غير ضرورية . والدليل على أن أساس الفكرة الأشعرية في الواجب والممكن غير أساس الفكرة الأرسطية في القوة والفعل هو أن تصور الأشاعرة للعلاقة بين القوة والفعل يختلف عن تصور أرسطو لها[٢].

نوضح ذلك بالقول إن تحليل فكرة الممكن والواجب يمكن أن يؤدي إلى أن القوة عند الفعل فقط وليست قبل الفعل، وبالتالي تكون العلاقة غير ضرورية بين الأسباب والمسببات، أما إذا لم تعتمد على فكرة الممكن والواجب فإننا نقول إن القوة قبل الفعل. وإذا قلنا بهذا فإن العلاقة تكون غير ضرورية بين الأسباب والمسببات، فإذا جاء الفارابي وأقام دليله على وجود الله على تحليل فكرة الممكن والواجب، فإنه وقع في مقدمات كلامية تؤدي إلى القول إن العلاقة غير ضرورية بين الأسباب والمسببات.

الخاتمة:

ما تزال فلسفة الفارابي الطبيعية تمثل مجالا فسيحا للبحث: فثمة مؤلفات من مؤلفاته العديدة تنتظر النشر والتحقيق، وما يزال العديد من النصوص الغامضة والعسيرة ينتظر الشرح والتفسير، وما يزال البحث عن مصادر الفارابي المختلفة وعن فهم فلسفته الطبيعية سواء ما يتعلق بالوجود أم النفس دون استكمال. وما هذا البحث إلا دراسة لهذه الجوانب.

---

[١] الجندي، إنعام: دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية، مؤسسة الشرق للطباعة والنشر، بيروت، ص ٧٨.

[٢] المصدر نفسه ، ص ٧٨.

إذ يهدف بحثنا " الفلسفة الطبيعية عند الفارابي " إلى إبراز قيمة فلسفة الفارابي الطبيعية، مع بيان موقفه من مسائل مهمة تتعلق بالنفس والوجود. وقد توصل البحث إلى نتائج مهمة كان أبرزها:

١ - إن هناك اختلافا واضحا بين منهج الفارابي والفلاسفة اليونان فيما يتعلق بالطبيعة. وهذا الاختلاف ناتج عن منطلقات كلا المنهجين والغاية التي يهدفان إليها .

٢ - لقد وظف الفارابي في فلسفته الطبيعية المبادئ المنطقية وأصول الفقه ، وقد تضافر المعياران لصياغة مبادئ فلسفة طبيعية عربية خالصة .

٣ - إن المعضلة الكبرى التي استعصت على الفارابي فيما يتعلق بالوجود هي مسالة الكثرة والوحدة. فمن أين تستمد الوحدة من الكثرة في الكون ؟ لقد اتضح لنا في سياق البحث ان بعض آراء الفارابي المتعلقة بنظرية الفيض الإلهي لا يمكن أن توجد إلا في فضاء العدم واللامعقول.

٤ - إن آراء الفارابي النفسية والسياسية ما هي إلا انعكاس دقيق لآرائه الفلسفية عن الكون والعالم ، وما كتاب" آراء أهل المدينة الفاضلة " إلا رسالة فلسفية تحتوي الكثير من الموضوعات كالفيض، والإرادة، والنفس، والسعادة ، والاختيار، والوحي ، والقوة والمتخيلة، وهذا دليل على أن فلسفة الفارابي في هذه المسائل لم تكن معزولة عن منظومة أفكاره الفلسفية في مجال الطبيعة. لقد كانت وسائلنا في البحث عديدة على رأسها الاطلاع على النصوص وعرض التأويلات المختلفة التي وضعت لها.

هذا ما تيسر جمعه في هذا البحث المتواضع، ومن الله التوفيق .

المصادر والمراجع:

- الالوسي، حسام: الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م.
- أرسطو: الطبيعة ، الترجمة العربية القديمة لإسحق بن حنين ، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ، ج١ ، ١٩٦٤ ، ج٢، ١٩٦٥ .
- أرسطو: كتاب النفس، نقله إلى العربية احمد فؤاد الاهواني ، دار إحياء الكتب العربية،١٩٦٢م.
- أفلوطين: التساعية الرابعة ، تحقيق فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية،١٩٧٠م.
- بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ج٢، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٤م .
- الجندي، إنعام: دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية ، مؤسسة الشرق الأوسط للطباعة والنشر، بيروت، بلا.ت.

- حنا الفاخوري وخليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٣م.
- دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، تحقيق عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة، بيروت،١٩٦٥م.
- صليبا، جميل: تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م.
- غيضان السيد علي: الفلسفة الطبيعية والإلهية عند ابن باجة وابن رشد، دار التنوير، بيروت،٢٠٠٩م.
- الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، بلا تاريخ.
- الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، تقديم البير نصري نادر، دار المشرق، بيروت،ط٣، ١٩٨٦م.
- الفارابي: إحصاء العلوم، تحقيق وتعليق عثمان أمين، القاهرة،ط٣ ،١٩٦٨م.
- الفارابي: رسالة في الملة الفاضلة، ضمن (رسائل فلسفية)، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي،١٩٧٣م.
- الفارابي: رسالة في أعضاء الحيوان وأفعالها وقواها، ضمن(رسائل فلسفية)، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي،١٩٧٣م.
- الفارابي: رسائل فلسفية، تحقيق، موفق فوزي جبر، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.
- الفارابي: السياسة المدنية، حققه وقدم له ،الدكتور فوزي متري نجار ، الطبعة الأولى، بيروت، بلا تاريخ.
- الفارابي: عيون المسائل، ضمن رسائل الفارابي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، الطبعة الأولى، ١٩٢٦م.
- الفارابي: فصوص الحكم، تحقيق الشيخ محمد حسن الياسين، مطبعة المعارف، بغداد،١٩٧٦م.
- الفارابي: فصول منتزعة ، تحقيق وتقديم فوزي نجار،القاهرة، دار المشرق،١٩٧١م.
- الفارابي: كتاب الملة ونصوص أخرى ، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان،١٩٨٦م.
- محمد عابد الجابري: نحن والتراث ، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠م.
- محمد المصباحي: من المعرفة إلى العقل، دار الطليعة، بيروت ، ط ١، ١٩٩٠م.
- نجار، رمزي: الفلسفة العربية عبر التاريخ ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.